ثانيًا: سبب التسمية:

قيل: إن سبب هذا اللقب؛ لتميزهم بلبس العقال عن بقية أهالي نجد، وللتأكيد نذكر بعض القصائد التي تؤيد ذلك:

قال الشاعر الكبير نمر بن عدوان:

لا انتم قبيسية لكم عندنا دين ولا اعقيل لابسين كفا يف[1]

وقال الشاعر علي بن محمد الحميدة بعد معركة وادي الرمة عام ١٣٢٢هـ:

ما لقينا غيرسمر العصايب يوم جا العسكر بزمارها

لابتي من دون شقر الذوايب بالجريدة جددوا ثارها

سمر العصايب: يقصد بهم عقيل الذين تميزوا بلبس العقال[2].

وقال الشاعر صالح بن عبدالله السعيد المنفوحي في قصيدته (الحمية) عام ١٣٢١هـ، التي هي شبيهة بقصيدة الخلوج للعوني من حيث المضمون والغرض والزمن والمكان، حيث استثار حمية (العقيلات) الذين في الشام والعراق ومصر وغيرها، فيقول:

ولبس يشادي للرخام وفوقه لبس الحرير مخرج لبدانها

عاداتهم لبس الشَّهَرْ جْدِّيه وشمغ وعقل كنها غربانها

وقال الشاعر إبراهيم اللاحم - حفظه الله -:

لابسين العقل ضافين الشليله مكرمين الضيف مرهبة العداتي

وقد عرفهم العثمانيون في الحرب وفي السلم بهذه العصابة، وميزوهم بها بعد أن التحقوا بالخدمة العسكرية في بغداد[3].

مادة (عقل) الثلاثية، يدور معناها في الأغلب على معنى الإمساك والحبس والجمع، فمثلاً:

- العاقل: هو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من: عقلت البعير، إذا جمعت قوائمه.

---

(١) نمر العدواني: شاعر الحب والوفاء حياته وشعره، ص١٦٦.

(٢) من شعراء بريدة: ص٥٥.

(٣) نجديون وراء الحدود: ص٢٢.

obeikandi.com

- والدواء الذي يمسك استطلاق البطن يسمى (عقول)، فيقال: أعطني عقولاً. فيعطيه ما يمسك بطنه، ويقولون كذلك: اعتقل اللسان: إذا لم يقدر على الكلام، واعتقل الرجل إذا حبس.

ويبقى أن من أكثر وأشهر الاستعمالات لمادة (عقل) هي عقل البعير يعقله عقلاً، إذا ثنى وظيفه مع ذراعه، وشدهما جميعًا بحبل في وسط الذراع، ويسمى ذلك الحبل (عقال)، والجمع (عُقُل)، وفي الحديث (تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشدّ تفلتًا من الإبل في عقلها) أي من عقلها.

وفي حديث (القرآن كالإبل المعقلة). أي المشدودة بالعقال، وهو الرباط الذي يعقل به البعير.

فقد جاء مصطلح (العقيلات) تلك اللفظة التى أطلقت على رجالها المعروفين، لنتعرف على شيئ مهم عن طريقتهم، التي يتبعونها في حلّهم وترحالهم، حيث كانوا يعقلون إبلهم إذا أناخوا في مكان، ويشدون وثاقها وحبالها ويجعلونها مجتمعة في مكان واحد، وهذا فيه فائدتان لهم:

الأولى: بقاؤها معهم، فلا تذهب عنهم، أو تتفرق في المكان الشاسع، فيشق عليهم جمعها إذا عزموا على الارتحال.

الثانية : (عقل الإبل المشتراة حديثًا، لتعارفها وتآلفها في هذا الاجتماع، فإذا حصل هذا زالت عنها الوحشة والنفرة، وهذا يساعدهم كثيرًا في سوْقها وسيرها بانتظام، والتحكم فيها في هذه الرحلة الطويلة والشاقة.

ومنه نعلم أنه لا عقيلات بلا إبل، فقد التصقت تسميتهم بها، فهي رواحلهم وعملهم وشغلهم ومصدر دخلهم، وعليها تقوم تجارتهم، فبها أيضًا سبب تسميتهم بـ(العقيلات)، ويقال للواحد منهم: عقيلي على صيغة التصغير من (عقال)، وهي عادة لهجة أهل نجد من ذلك الحين وإلى الآن، فهم يستخدمون تصغير الألفاظ ليس تصغيرًا للمسمى، وإنما تلطيفًا له وتشويقًا إليه واستظرافًا له، فيقولون عن القهوة مثلاً (قهيوة) وعن الدار (دويرة) يطرد الاستعمال الجاري على ألسنتهم، فالعقال يصغرونه ويقولون (عقيل) والنسبة إليه: عقيلي، وهو استعمال صحيح فصيح، يمشي وفق القواعد.

ورأى المؤرخ (حمد الجاسر) أن (عقيلاً) نسبة إلى قبيلة (عقيل) العامرية، التي سكنت نجد، وكانت تمارس تجارة الإبل مع الأقطار المجاورة، ثم صارت المهنة مصطلحًا لكل من زاولها من أهل نجد.

نشأة (العقيلات):

الأسباب التي دعت (العقيلات) عمومًا، وخصوصًا أهل القصيم، للسفر داخل الجزيرة العربية وخارجها، وقيامهم بهذه المهنة، التي ميزتهم عن غيرهم، وأكسبتهم شهرةً منقطعة النظير قلما تجدها عند غيرهم، فعرفهم القاصي والداني، من حكام وشيوخ قبائل ومفكرين، وأدباء ورحالة، وغيرهم، وذلك لأسباب كثيرة، لعل من أهمها ما يأتي:

أولاً: موقع القصيم، حيث كان ملتقى الطرق بين الشمال والجنوب، والشرق والغرب، فالقصيم على طريق الحاج العراقي من البصرة والزبير مرورًا بالقصيم إلى مكة ذهابًا وإيابًا، فالمحمل العراقي إذا وصل القصيم تزود بالمؤن كالسمن والأقط والإبل والخيل والأغنام، وباعوا ما جلبوه من سلاح وأثاث وأوانٍ وملابس، وقد يلتحق معهم بعض الفرسان من القصيم مقابل أجرة؛ لحماية المحمل من غارات القبائل.

ثانيًا: خصوبة أراضي القصيم وكثرة مراعيها ما جعلها محلًّا للنزاع بين كثير من القبائل من أجل المراعي، وحصلت معارك كثيرة بسبب ذلك بين قبيلة الظفير وعنزة ومطير، وأكثر القبائل تحيط بالقصيم، مثل قبيلة عتيبة ومطير وحرب وشمر وعنزة، وهذه القبائل لا بد لها من أسواق لجلب مواشيها ومنتوجاتها، وتشتري ما تحتاج إليه من تلك الأسواق، وأقرب الأسواق إليها وأنشطها سوق الجردة ببريدة.

ثالثًا: حب التجارة التي جبلت عليها نفوس أهل القصيم، فقلما تجد أحدًا منهم لا يشتغل بالتجارة، وكلٌّ بحسب مقدرته واستطاعته، مما جعل بلدهم بلدًا تجاريًّا له شهرته وسمعته.

رابعًا: لأن القصيم موارده المائية ضعيفة، فلا أنهار ولا أمطار مستمرة، فسبل العيش محدودة ما جعل أهله يتجهون إلى التجارة والرحلات، حتى قيل: «نجد أم تلد، ولا تغذى»[1].

(١) الشيخ محمد العبودي: حكم العوام، ص١١٠.

Obeikandl.com